باب العقائد ورد الشبهات

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحجتنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعاة اليه بإيهامهم ان ماتقول ليس من الدين وأنه ضارّ به لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدواً للعقل وان بناءه على العقل مؤذن بهدمه كغيره وانه لو كان معقولاً لكان علما ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والنقلية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين ، طالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ؛ واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرفة الشيء ببرهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » ، وقال بعد آية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل الى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » فنفى عنهم العلم وبين أن الظن لا ينفع في الدين؛ لأن المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً »

تلك آيات من سورة قصيرة تدل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم ، وأنه يطلب فيه اليقين ولا يكتفى بالظن في الإيمان بأصوله كوحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثة الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كله « يعقلون » بالياء والتاء نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والعقلاء في الخطاب وإقامة الآيات على الإيمان بغير هذا الحرف كالنهى واللب فلفظ الألباب جاء في بضع عشرة آية . لهذا كان العلم بالكون طريق الإيمان والإسلام . قال عز وجل « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » فعلمنا ولله الحمد علم وكل علمنا دين لأنه يزيدنا إيمانا ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل مالا تحس به فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المغالطة أو الجهل فإنه لا علم يتصم باليقين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(تعارض الدليل العقلي مع الدليل السمعي)

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان الدليل العقلي القطعي اذا جاء في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين ولنا في النقل التأويل أو التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الازهر وغيره من المدارس الاسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرة

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

قال الامام الرازي في تفسير قوله تعالى « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » عند ذكر التأويل « قد ثبت أنه متى وقع التعارض بين القاطع العقلي والظاهر السمعي فإما أن يصدقهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يكذبهما وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجح الظاهر السمعي وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي يوجب القدح في الدليل العقلي والدليل السمعي معا فلم يبق الا أن يقطع بصحة الدلائل العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل » اهـ ثم انه أقام الدليل بهذا الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بنقول

ولكن فشت بيننا في هذه العصر مطبوعات المشككين في الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يغتر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الائمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الحميدية لأطلنا الكلام في معنى واحد

الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فإذن ليس يفك فريق منهم عن خزي في مذهبه وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله . وظن ان الامور الالهية يستوي على كنهها بنظره وتخيله » فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا

فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكلفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الالهي) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « المقصود تعجيزكم عن دعواكم معرفة حقائق الامور بالبراهين القطعية وتشكيككم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم في

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لاتنال بنظر العقل بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملة السابقة خاصة ببيان عجز البشر عن ادراك حقيقة البارئ وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاجيال وستمر قرون وأجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص ٥٤٤ من المنار) : « لابد ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛ ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه ، « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره الكافرون ، وتبعهم الجامدون القانطون » فكلام الامام الغزالي وكلام هذا الامام واحد لافرق بينهما . ولو كان الاسلام كلفنا بأن نعرف كنه ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكلفاً لنا بما لايعقل ولا يستطاع ولكن الله يقول « لايكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع الفاسد بالفاسد ولذلك قال قبل الجملة الثانية بأسطر (ص ٥٠) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض الممهدين ، بل خوض الهادمين المعترضين ، ولذلك سمينا الكتاب (تهافت الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في العقائد ولا في غيرها كما نبهنا على ذلك في مقاله الاسباب والمسببات في الجزء التاسع عشر والعشرين . وإنما يؤخذ مذهبه من كتبه في العقائد والاصول وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان براهينه القطعية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ما تقدم

فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في العقائد والاصول لم يختلفوا في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الاصل وفصلوا بين العقل والدين ؟ فالجواب كلا ان الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف الاسلام في الغرب أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة أثبت فيها ما أثبته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ففي هذا الكتاب أثبت ان الشرع الاسلامي أوجب النظر بالعقل وجعله أساسا للعقائد ثم قال (في ص ٨) ما نصه

« واذا كانت هذا الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له . واذا كان هذا هكذا فان أدّى النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع أو صرح به . فان كان مما سكت عنه فلا تعارض هناك وهو عين ما سكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي . وان كان مما نطقت به فلا يخلو ظاهره النطق ان يكون موافقا لما أدى اليه البرهان فيه أو مخالفا . فان كان موافقا فلا قول هناك . وان كان مخالفا طلب هناك تأويله . ومعنى التأويل هو

إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او سببه اولاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف أصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فحكم بالحري ان يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياسي يقيني

« ونحن نقطع قطعا أن كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع مخالف بظاهره لما ادى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتاويل » اه المراد منه بحروفه

نقول : الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل بني شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الاسلام فكروا مكراً كباراً ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصارا »

فان قيل : ان لابن رشد كلاما آخر في « تهافت التهافت » يشبه ان يكون مخالفا لقوله هنا كقوله « الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فان أدركته استوى الإدراكان وكان ذلك أتم في المعرفة وان لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وان يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الاشياء التي لايجب ان يتعرض للفحص عنها وتجعل مسائل فانها مبادي الشرائع والفاحص عنها اوالمشكك فيها يحتاج الى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة . وإنه لايشك في وجودها وان كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية » والعلة في ذلك أن هذه هي مبادي الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلا ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة . فوجب ان لايتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة . واذا كانت الصنائع العملية لاتتم الا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولا فأحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية » اه بحروفه

فالجواب ان هذا الكلام لاينافي ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به الى صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية) ولو فرضنا ان بين القولين مخالفة لكان الواجب اعتبار الأول لانه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادمنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لايعارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والافقد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على الملليين مسألة المعجزات ومبادي الفضائل فالغزالي يسنده اليهم على الاطلاق وابن رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطب سهل

أما الوفاق فإنك تراه بدأ يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومباديها لافي الاسلام الذي هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأمور لاتجعل الدين (المُطلَق) فوق العقل بمعنى أن فيه مايحيله العقل ويقطع بعدم صحته (منها) أن مالا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الإنساني قاصر عن الوصول اليه بنفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع . ولا شك ان العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهرباء وينتفع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسائله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالا بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته كتكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الإله اتحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكان العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

و(منها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يُشك في وجودها . والوجود لا يكون محالا لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله

عنهم : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية : لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة كيفية إيجادها فعجزها عن معرفة كيفية وجود المعجزات أولى . ويسهل على كل عاقل أن يميز بين ماهو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين مالا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود

و (منها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه وضرار . وأي سفه وضرر أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس لصدهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه اكبر من سفه من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمعجزات) او يلزم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟

وما احسن ما اورده الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبه (أي ما نسبه الغزالي الى الفلاسفة) من الاعتراض على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقله الا الزنادقة من اهل الاسلام فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادي الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادي وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي أحرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ليس في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقلد فيها ولا بد من هذا الوضع لها فان جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل الزنادقة . فالذي يجب ان يقال فيها ان مباديها هي أمور الهية تفوق العقول الانسانية فلا بد ان يعترف بها مع جهل اسبابها ولذلك لا تجد احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم لانها مبادي تثبيت الشرائع والشرائع مبادئ الفضائل . ولا فيما يقال فيها بعد الموت . فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق فأن تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم فعرض له تأويل في مبدإ من المبادئ فيجب عليه ان لا يصرح بذلك التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنا به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء » اه بحروفه من (ص١٢٩)

حقا أقول ان هذا مايصح ان يسند الى الحكماء العقلاء واننا نوضحه بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد ثبتت فائدته للناس بالتجربة والمشاهدة فمن الحماقة وسفه الرأي أن يقال للمريض عليك ان لاتقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولاً عن مباني الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه لك الطبيب ماهو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأيتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى كانكم كنتم حاضريها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضاً عن كل ما جاء في الشرع لتعلموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها

يفتك المرض بمريض الجسد حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضعه أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك الرذائل والعقائد الباطلة بمريض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه الكيفيات فبقي ان الصواب ما قرره الاسلام وهو أن النظر واجب في الاصول التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتقدنا بقدرة الله وإرادته وعلمه وكونه أوحى الى بعض عبيده وألهمهم ارشاد الناس الى ما يسعدهم في حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسلم بكل ما يقول الموحى اليهم (الانبياء عليهم السلام) تسليما . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي القطعي نرده اليه بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي القاطع بحال من الاحوال .

وقد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تنشر التاويلات التي تظهر للراسخين في العلم بل تبقى خاصة بهم لئلا تكون سبباً لفتح باب الجدل على العامة فيما لا سبيل اليه أفهامهم من حقائق العلوم . والجدل مدعاة الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادلين

ارتقاء الأديان ، وختمها بالاسلام

(جاء في « رسالة التوحيد » للاستاذ الامام مانصه)

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناشئ الحديث العهد بالوجود لايألف منه الا ماوقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وان يتناول من المعاني مالا يقرب من لمسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن مايعطفه على غيره من عشيرة أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على مايقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلقى اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يداً تصل الى فمه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الاديان ، ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سذاجة السن لايأتيه الا من قبل مايحسه بسمعه أو ببصره ، فأخذتهم بالاوامر الصادعة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم تصل مدارکهم الى سر ماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ، وتنفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه [1]

---

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي يسمون مجموعها (التوراة) يتجلى له انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان يلقب شعب اسرائيل بالشعب « الغليظ الرقبة » أي المريض القفا والمراد البليد الجافي وكان يريه الآيات والمخاوف فيخضع ثم يعود الى تمرده ، وكان يعلل له الاحكام بالوقائع الخاصة كانجائه من المصريين ، وكان يعاقبه على ترك أي حكم بأشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملا يقتل قتلا

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الاقوام وسقطت، وارتفعت، وجرّبت وكسبت، وتخالفت واتفقت، وذاقت من الايام آلاما، وتقلبت في السعادة والشقاء أياما وأياما؛ ووجدت الانفس بنفث الحوادث؛ ولقن الكوارث، شعوراً أدقّ من الحس وأدخل من الوجدان؛ لا يرتفع في الجملة عما تشعر به قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان؛ فجاء دين يخاطب العواطف، ويناجي المراحم؛ ويستعطف الاهواء؛ ويحادث خطرات القلوب، فشرع للناس من شرائع الزهادة مايصرفهم عن الدنيا بجملتها ويوجه وجوههم نحو الملكوت الاعلى، ويقتضي من صاحب الحق ان لا يطالب به ولو بحق، ويغلق أبواب السماء في وجوه الاغنياء؛ ومانحو نحو هذا مما هو معروف. وسن للناس سننا في عبادة الله تتفق مع ما كانوا عليه، وما دعاهم اليه؛ فلاقى من تعلق الناس بدعوته ما أصح من فاسدها،

ثم لم يمض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت العزائم البشرية عن احتماله، وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ باقواله، ووقر في الظنون أن اتباع وصاياه ضرب من المحال، فهب القائمون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك في السلطان، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال، وانحرف الجمهور الأعظم منهم عن جادته بالتأويل، وأضافوا اليه ما شاء الهوى من الأباطيل، هذا كان شأنهم في السجايا ــ نسوا طهارته، وباعوا نزاهته؛ أما في العقائد فتفرقوا شيعا، وأحدثوا بدعا، ولم يستمسكوا من أصوله الا بما ظنوه من أشد أركانها، وتوهموه من أقوى دعائمها؛ وهو حرمان العقول من النظر فيه وفي غيره من دقائق الأكوان، والحظر على الافكار أن تنفذ الى شيء من سرائر الخليقة، فصرحوا بأن لا وفاق بين الدين والعقل، وان

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذاهب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جدّ في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة . وأفضى الغلوّ في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين . فتقوّض الأصل ؛ وتحرّمت العلائق بين الأهل ، وحلّت القطيعة محلّ التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محلّ السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالانسان أشدّه ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللُّب ، ويشركه مع العواطف والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعادته الدنيوية والاخروية ، وبيّن للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه ما اختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيئته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، انما هو تجديد الذكرى في الارواح ، وان الله لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكلّف برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدّ كلا الأمرين طهراً مطلوباً ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(*) يرى الناظر ان الاستاذ الإمام يلصق جميع ما يبتدع في النصرانية وكان شؤما على الإنسانية . بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح ويدعون انهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم . فلا يتوهمن أحد أن مسلما يعتقد أن في دين المسيح نفسه شيئاً كان ضاراً بدنه فيمن خوطبوا به

هو لما أوجب من التطبع بطاهر الملكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » « ان الإنسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين » ورفع الغني الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للرجل الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضاء الله وشكر نعمته وان الدنيا مزرعة الآخرة ولا وصول الى خير العقبى الا بالسعي في اصلاح الدنيا ،

. . . .

(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل غمة من الوهم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرر ان آيات الله الكبرى في صنع العالم انما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في علمه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يغفل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحيي ذكره عند رؤيتها ، فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله »[1] ، ففيه التصريح بأن جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية الازلية على السنن التي اقامته عليها ،

ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الامم والمصائب التي يرزؤن بها ففصل بين الأمرين فصلا محكما - ثم بعد ان ذكر حال الافراد وان مصائبهم قد يكون بكسبهم ، وقد يكون بغير ذلك قال

(١) [illegible] ابن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الناس انها كسفت لموته [illegible] البخاري وغيره

«أما شأن الأمم فليس على ذلك فان الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر، وتأديب الاهواء، وتحديد مطامح الشهوات، والدخول الى كل أمر من بابه، وطلب كل رغيبة من أسبابها، وحفظ الامانة، واستشعار الاخوة، والتعاون على البر، والتناصح في الخير والشر، وغير ذلك من أصول الفضائل — ذلك الروح هو مصدر حياة الامم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة «من يرد ثواب الدنيا نؤته منها» ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها. يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه، حتى اذا فارقها ذهبت السعادة على أثره، وتبعتها الراحة الى مقره، واستبدل الله عزة القوم بالذل، وكثرهم بالقل، ونعيمهم بالشقاء، وراحتهم بالعناء، وسلط الله عليهم الظالمين أو المادين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون، «واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» أمرناهم بالحق ففسقوا عنه الى الباطل، ثم لا ينفعهم الانين ولا يجديهم البكاء، ولا يفيدهم مابقي من صور الاعمال ولا يستجاب منهم الدعاء، ولا كاشف لما نزل بهم الا ان يلجؤا الى ذلك الروح الاكرم فيستنزلوه من سماء الرحمة برسل الفكر والذكر والصبر والشكر «إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» — «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا». وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقائه «اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب، ولم يرفع الا بتوبة» على هذا السنن جرى سلف الأمة فبينما كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الاعمال الجليلة، كان غيره يظن انه يزلزل الارض

بدعائه ؛ وينشق الفلك ببكائه ، وهو ولع بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما كان يغني عنه ظنه من الحق شيئاً » اه المراد هنا من رسالة التوحيد

﴿ تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس ﴾

هذا ماقاله الاستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥ وقرر مجلس ادارة الازهر تدريسها رسميا في الجامع الازهر ، ومعلوم ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس بل وسائر علماء الازهر متفقون على مافي هذه الرسالة ، ومما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في عشرات ومئات من الآيات ، ويعلم أيضاً ان المسلمين يعتقدون بحقية الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحاً للناس ولكن الى أجل محدود قد انتهى واستغني عنه بالدين الاخير

تقدم ان دين الله واحد « لا نفرق بين أحد من رسله » وان خطاب الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس ، فالشريعة الموسوية وماشا كلها مما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية ، والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية ، والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير ، وهذا لايتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية كما أن وجود المدارس العالية لايقتضي انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والغرض من الجميع واحد ، ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقال ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهوديا ثم نصرانيا ثم مسلما ، وهذا الذي قلناه ، قد ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة أعلى منها، ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من القوة الحسية والوهمية ولولا الطواري التي طرأت على سير الاسلام بواسطة الرؤساء من الملوك والامراء، وفتنهم للعلماء والفقهاء، لما بقي للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة .

القسم العمومي

الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١

«في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»

في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتي ضبط مفاوضات اليوم السابق حسب الأصول المرعية .

قال (الاستاذ الرئيس) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة السائحة التي وضعتها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون موقت الى أن تتشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعتني بتطبيقه على الواجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا أمضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على بعض الفقرات منه فليبدها عند قراءتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدل بالأكثرية . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة سائحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياه وعدل بعضها وضبطت المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر